النحو والدلالة في كتاب معاني النحو لفاضل السامرائي دراسة وصفية

✍ . إعداد د. ازدهار عبد الرحمن السيد (*)

مقـــدمـة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

أما بعد فلا شك أنّ النحو هو سيّد العلوم وسلّم الفهوم يحتاج إليه كل مشتغل بالعلوم الأخرى بل كل مدين بالإسلام، أيّما حاجة ،أما المختص فحاجته إليه أكبر.

وهذه الدراسة محاولة للكشف عن الصلة الوثيقة بين النحو والمعنى وارتباطهما ببعض، كما هي تحليق حول كتاب يعدّ متفرداً في طريقة عرضه للنحو وربطه بالمعنى، فهو يمثل حاجة الجيل إلى فقه النحو؛ ليكون عرضه شائقاً ممتعاً جاذباً. ولا أحد ينكر الضعف النحوي الذي لا تخطئه العين في كل الأقطار العربية والإسلامية اليوم. فعلى الرغم من مرافقة الطلاب لمادة النحو في سنيّ الدراسة المبكرة يبدو ضعفهم بيّناً واضحاً عندما يرتقون إلي سلّم الجامعات.

والاتهامات كثيرة تلك التي تُوجّه للنحو، بل إنني أرى ازوراراً في وجوه أبنائه المختصين يرمونه بالجمود والتعقيد، ويصفون مؤلفاته الأصيلة والعتيقة بالصعوبة، وخلوّها من متعة العرض، وتتجه أنظارهم صوب المؤلفات التي تدعو إلى تيسير النحو بشكل مُخلّ، بل يميلون إلى التمثيل بالكلام النثري اليومي الذي لايناسب المختص

(*)جامعة أم درمان الإسلامية - كلية اللغة العربية قسم الدراسات النحوية واللغوية

الذي ينبغي أن يرتقي بكلامه إلى أعلى درجات الفصاحة. فمؤلفات النحو الأصيلة باتت مهجورة ، فهي بين مطرقة الصعوبة وسندان التعقيد والجمود. ولكن هناك مؤلفات حديثة جديرة بالدراسة؛ لأنها جمعت أصالة القديم وتيسير الحديث، فكانت أنموذجاً رائعاً لعرض النحو في ثوب جديد، أعني بهذا القول كتاب "معاني النحو" للدكتور فاضل السامرائي*.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الكتاب المذكور، وهو من المؤلفات الحديثة والأعمال المميزة التي ظهرت حديثاً في ميدان الدراسات النحوية، كما يهدف البحث إلى فهم وتذوق بعض التراكيب المختلفة وشرح كل تركيب؛ لأن الأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي لأوجه معنوية متعددة؛ فهي تدور على المعنى أساساً وبناءً عليه؛ لأن المعنى موضوع جليل وحسبك من جلالته أن اللغة ما وجدت إلا للإفصاح عنه .

وتأتي أهمية هذا البحث من أنه يكشف العلاقة الوثيقة بين النحو والمعنى ويؤكد ارتباطهما ببعض، كما يعكس حاجة الجيل إلى فقه النحو؛ ليكون عرضه شائقاً ممتعاً جاذباً.

وكذلك تنبع أهمية البحث من أهمية الكتاب الذي قد يسهم إلى حد كبير في معالجة الضعف اللغوي الذي لا تخطئه العين في كل الأقطار العربية والإسلامية في ظل الشكوى الدائمة من تعقيد النحو وصعوبته .

تسمرت عيناي وأنا أطالع كتابه، ولاحت لي في الأفق أبحاث وأبحاث في النحو، ليست هي على الشكل التقليدي وليس مجرد جمع أحكام نحوية ولا ذكر قواعد مبينة، وإنما تفسير للجملة العربية وتبيين لمعاني التراكيب المختلفة المنثورة في كتب البلاغة والتفسير وغيرها من المظان. ولكن سرعان ما قصُرتْ همتي، وخارت عزيمتي، كيف لي بالبحث في موضوعات كهذه، وباعي في النحو أقصر من شبر ! فآثرت أن أبدأ بمطالعة الكتاب وأختار منه بعض الدرر الثمينة وذلك لأهداف منها:

الأول: الدُّربة على قراءة مِثل هذه الكتب العظيمة.

الثاني: التعريف بهذا المؤلف الرائع الذي لم يكن قد اطلع عليه الكثيرون المبتدؤون أمثالي. فربما يكون عرض هذا الكتاب كُوّة يطلُّ بها طالب علم على نافذة العلم وفضائه الواسع.

الثالث: إدامة النظر في النصوص والتأمل فيها والتدقيق فيما تحتمله من معانٍ؛ لأنَّ ما ينقصنا في هذا الزمان وفي ماضي الأزمان ومستقبلها، ربط دراساتنا بالدراسات الدلالية، وذلك لأن المعنى موضوع جليلٌ- وحسبك من جلالته أنْ اللغة ما وُجدت إلاّ للإفصاح عنه. فما نحتاج إليه حقاً في دراساتنا المعاصرة هو ربط المعاني بالألفاظ، ومَنْ لم يقدر على تزيين عرائس الألفاظ بحلل المعاني، ويُصيِّر مناظرها موارد رواد الألحاظ لم يكن من معارف علم النحو أصلاً، ولم يمس من عرفان الفصاحة وابلاً ولا طلاً.

الرابع: أنني ذات يوم كنت أطالع مع طالباتي نواسخ الابتداء فوقفت عند تلك الأربع التي تعمل بشروط وهي (زال – فتئ – برح – انفك) حيث يتقدمها النفي أو شبهه "لشبه نفي أو لنفي متبعه"[2].

ففي قولنا: مازال زيدٌ قائماً، أين معنى النفي، وما نوعه، وما مفهومه، فوقفت حائرة، لأنه على الرغم من وجود "ما" النافية معنى الجملة لم يكتنفه النفي، إذ يشير قولي "مازال زيد قائماً"إلى إثبات الحدث ووقوعه وليس نفيه على أية حال. فأين معنى النفي؟.

هذا السؤال وغيره من الأسئلة، زاد إعجابي واحتياجي إلى ما دعا له الدكتور فاضل صالح السامرائي، في أننا يجب أن نتفقّه في النحو ونربطه بالمعنى.

وحتى أشفي غليلي من الإجابة هاتفت أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد غالب عبد الرحمن وراق، ليوضح لي معنى النفي في هذه الجملة التي لم أحس فيها معنى النفي، فأشار لي من بحره الواسع، أن هذه المسألة قد ناقشها العلماء وتناولوها بالدرس فنظرت في شروح الألفية وغيرها، فشفيت غليلي، وقد أفاد وأجاد صاحب

النحو الوافي ، فخلصنا إلى المعنى المطلوب، فالجملة وإن كانت تكتنفها ما النافية إلا أن هذه الأربع تتضمن معنى النفي، وعندما يتسلط عليها النفي، تكون النتيجة نفي النفي إثبات. كل هذه الأهداف مجتمعة دعتني إلى هذا البحث وكانت سبباً في اختياره.

سيتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في مباحث ثلاثةٍ، يتناول في أولها فضل النحو وعلاقته بالمعنى. أما المبحث الثاني فهو عرض تاريخي مبسط لمسيرة النحو لنتبيّن الخطى التي كان يسير عليها التأليف النحوي منذ قديم الزمان ،أما المبحث الثالث فينتخب نماذج من الكتاب لعرضها وتحليلها وتوضيح ما تفوّق به السامرائي في عرضه لكتابه.وينتهي البحث بخاتمة تركز على أهم النتائج التي توصل إليها والتوصيات التي خرجت بها الدراسة .

تمهيـــد:ـــ

ربما لا أكون مغالياً إذا قلت نحن لا نفهم اللغة كما ينبغي؛ لأن أكثر دراساتنا تتعلق بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات، أما المعنى فهو بعيد عن تناولنا وفهمنا، بل ربما لا أكون مغالياً إذا قلت: إننا نجهل أكثر مما نعلم فيما نحسب أننا نعلم.

ومن هنا فنحن محتاجون إلى "فقه" للنحو يصل إلى درجة الضرورة؛ إنَّ دراسة النحو على أساس المعنى، علاوة على كونها ضرورة فوق كل ضرورة، تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، وتكسبه جدة وطرافة، بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة.

إنَّ الدارس له على هذا النهج، يشعر بلذة عظيمة وهو ينظر في التعبيرات ودلالتها المعنوية، ويشعر باعتزاز بانتسابه إلى هذه اللغة الغنية، الثرية، الحافلة بالمعاني الدقيقة الجميلة، ثم هو بعد ذلك يحرص على هذه اللغة الدافقة بالحيوية، وهو وراء كل ذلك يحاول تطبيق هذه الأوجه في كلامه، ويشعر بمتعة في التطبيق.

إنَّ الجهل بالمعنى أدى إلى أن تختفي وتموت ظواهر لغوية كانت شائعة مستعملة، ومن ذلك على سبيل المثال ظاهرة (القطع) الجميلةُ الدلالة، التي كانت شائعة شيوعاً

كبيراً في الشعر والنثر والقرآن وغيره، وذلك نحو قولك: "مررت بمحمدٍ الكريمُ أو الكريمَ" واكتفي بالإتباع، علماً بأنَّ دلالة القطع تختلف عن دلالة الإتباع، وأن دلالة القطع إلى الرفع تختلف عن دلالة القطع إلى النصب.

إن الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها كما يتصور بعضهم، وإن جواز أكثر من وجه تعبيري ليس معناه أنَّ الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة وأنَّ لك الحق أن تستعمل أيّها تشاء كما تشاء، وإنما لكل وجه دلالته، فإذا أردت "ما"، لزمك أنْ تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنىً واحداً، إلا إذا كان ذلك لغة، نحو قولك: "ما محمدٌ حاضراً" و "ما محمد حاضرٌ"، فالأولى لغة حجازية، والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى.

وفيما عدا ذلك لابدّ أن يكون لكل تعبير معنى؛ إذ كل عدول عن تعبير إلى تعبير، لابدّ أنْ يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة، إنما هي صورة لأوجه معنوية متعددة[1].

هذه كلمات عظيمة ومعانٍ جليلة،حقها أنْ تكتب بماء الذهب خطَّها قلم العلامة الدكتور فاضل صالح السامرائي، كيف لا وهو سليل البصرة – الشمس التي بزغت على الناطقين بالضاد–خليفة الخليل وسيبويه.

يدور حديثه في فلك المعنى، بل الدلالة بأوسع معانيها؛ ذلك لِأنَّ موضوع المعنى موضوع جليل، وحسبك من جلالته أنَّ اللغة ما وُجدت إلا للإفصاح عنه.

وصف الكتاب:ـ

يُعدُّ هذا السِّفر الجليل ((معاني النحو)) للباحث العراقي الدكتور فاضل صالح السامرائي من الأعمال المميزة التي ظهرت أخيراً في ميدان الدراسات النحوية، ذلك أنَّ الباحث استطاع بجهد عظيم أن يصل إلى عرض رائع لموضوعات النحو حيث ربطه بالدلالة.

وهذا الكتاب بسرده الرائع يُعدُّ سفيراً بين العلماء وطلاب العلم، ليجعل الدرس النحوي ممتعاً شائقاً يتلقفه الناس يستشعرون حلاوته ويسبرون أغوار الكلمات والتراكيب يتلمسون معانيها، ويُدركون الفروق بين التعبيرات ويعرفون كنهها.

إنَّ هذا الكتاب في فقه النحو، هو محاولة للتمييز بين التراكيب المختلفة، وشرح معنى كل تركيب، لأنه لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى. فالأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة، فهو إذن يدور على المعنى أساساً وبناءً.

يقول المؤلف: " إنَّ تأليف أيِّ كتاب في النحو أيسر من موضوع هذا الكتاب بكثير؛ وذلك لأنَّ الأحكام النحوية مذكورة مبينة في كتب النحو، لا تكلفك إلا استخراجها، وجمعها في كتاب واحد على حسب الخطة التي تريدها.

وأما هذا الموضوع، فليس الأمر فيه أمر جمع أحكام نحوية، ولا ذكر قواعد مبينة، وإنما هو تفسير للجملة العربية، وتبيين لمعاني التراكيب المختلفة مما لا تجد أغلبه في كتب النحو، وقد تفزع إلى كتب البلاغة والتفسير وغيرها من المظان فلاتجد شيئاً مما تريد"[٣]

أرأيت كيف أنّ صاحب الكتاب قد غاص في بطون الكتب ليخرج كنوزها المدفونة ولآليها المكنونة ليخرج النحو في ثوب قشيب ومعنى رهيب جميل مهيب. فالكتاب إذن حصيلة تجارب عديدة وخلاصة قراءات مديدة استراح صاحبه في دوحة التفسير وتجوَّل في باحات البلاغة وقال في كتب اللغة والمعاجم. فخرج بهذا السفر الجميل.

يتميز هذا الكتاب بالحشد الهائل للمصطلحات العلمية المهمة، فهو بمثابة كشاف للمصطلحات في اللغة العربية، مُرْدَفة بتفسير يسير، يصل بك إلى معنى المصطلح الذي يصعب فهمه على المبتدئ، بالإضافة إلى توثيق علمي دقيق وأمين. ونذكر على سبيل المثال قوله عن المصطلحات الآتية:

ظاهرة الإعراب، الدلالة الظاهرة والباطنة، الدلالة القطعية والاحتمالية، دلالة الجملة العربية. – صورة تأليف الجملة[٤].

فهذا الكتاب تظاهرةٌ علمية رائعة، إذ أمضى فيه صاحبه أكثر من عشرة أعوام، وكان شغله الشاغل في الليل والنهار، يتأمل النصوص ويديم فيها النظر، ويوازن بينها ويدقق فيها. فهو يضم كل أبواب النحو كغيره من المؤلفات لكنه بعرض يختلف عن الكتب الأخرى، جاء فيه صاحبه بثمار علمه ويانع ثمره من شتى بساتين العلم والمعرفة، شأنه في هذا شأن الأوائل الذين تباروا في خدمة اللغة العربية، تركوا في خدمتها الشهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا لاقتنائها الدفاتر وسامروا القماطر والمحابر، وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم، وأشهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم. فعظمت الفائدة وعمت المصلحة وتوفرت العائدة[٥]

فالكتاب يعدُّ خارطة طريق لكل باحث يتلمس طريق العلم والبحث العلمي، إذ تحتشد فيه المعلومات والمصادر. فهذا الكتاب ثوب جديد من طراز فريد، ذو نفع مديد، أظهر النحو في حُلة بهيّة تليق بمقام اللغة العربية، وينفع الله بها البرية، فتكون لطلاب العلم أروع هدية. عرض بعض أبوابه، وعلقت عليها أملاً في أنه من ذاق حلاوة العرْض وطلاوة الشرح وتَعمّقَ في الدلالة، لم يفارق هذا الكتاب. الذي هو خزانه النحو في رأيي المتواضع.

ويجدر بي قبل أنْ أبدأ في استعراض الموضوعات الرئيسة التي ضمها هذا الكتاب وفي تحليلها كذلك. علي أن أتناول فضل النحو وعلاقته بالمعنى و أن أعرض بإيجاز للتأليف النحوي حتى أتبين مسيرة هذا العلم الجليل لأدرك قيمة ما جاء به صالح السامرائي، فهو وإن تأخر زمانه جاءنا بعرض جيد وتأليف مفيد في علم النحو.

المبحث الأول: فضل النحو وعلاقته بالمعنى:ـ

أ/فضل النحو :ـ

علم النحو علم جليل: حدث أبو بكر بن مجاهد "٣٢٤"هـ قال: "كنت عند أبي العباس ثعلب" فقال يا أبا بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري، ما يكون حالي في الآخرة، فانصرفت من عنده فرأيت في تلك الليلة النبي - ﷺ - في المنام.

فقال لي أقرئ أبا العباس منى السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل"[٦]

قال أحمد بن عطاء (٣٦٩)هـ أراد أنَّ الكلام به يكمُل والخطاب به يجْمُل، وأراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه، فالنحو سُلَّم الفهوم، وعلم العلوم، ولا أحد يتذوق فناً من الفنون، ويسير فيه على هدى وبصيرة، إلا إذا كان آخذاً من هذا العلم بطرف.

ولم يك قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إلى النحو، فإنهم في جاهليتهم غنيّون عن تعرّفه، لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جُبلوا عليها، فيتكلمون، دون تعمَّل نظر أو رعاية إلى قانون كلامي يخضعون له. قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم، ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم، بخلافهم بعد الإسلام، إذ اختلطوا بالفرس والروم وغيرهم، فحلَّ بلغتهم ما هوَّل الغيورين عليها وعلى الدين حتى هرعوا إلى وضع النحو[٧]

ب / علاقة النحو بالمعنى:

إنه لا يُتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو ،فلا يقوم في فهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى "فعل"من غير أن يريد إعماله في"اسم" ولا أن يتفكر متفكر في معنى "اسم" من غير أن يريد إعمال "فعل" منه،وفعله فاعلاً أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً، سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأً أو خبراً أو صفةً أو حالاً أو ما شاكل ذلك .

وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شئ من معاني النحو منها فقل في:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

"من نبك قفا حبيب ذكرى منزل " ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها .؟

واعلم أني لست أقول إنّ الفكر لا يتعلق بمعاني الكلمة المفردة أصلاً، ولكني أقول إنّه لايتعلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقاً بها على وجه لايتأتى معه تقدير معاني النحو وتوخّيها فيها.

وإذا فكرت في الشيئين تريد أن تشبه الشئ بأحدهما أيهما أشبه، كنت قد فكرت في معاني أنفس الكلم، إلا أن فكرك ذلك لم يكن إلا من بعد أن توخّيت فيها معنى من معاني النحو ، وهو أن أردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خبراً عن شئ أردت فيه مدحاً أو ذماً أو تشبيهاً، أو غير ذلك من الأغراض وإن أردت مثالاً فخذ بيت بشار :

كأنّ مثارَ النّقعِ فوق رُؤُوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكِبه

انظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفراداً عارية من معاني النحو التي تراها فيها وقد يكون قد وقع "كأن" في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء وأن يكون فكّر في مثار النقع من غيرأن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني وفكّرفي" رؤوسنا" من غير أن يكون قد أراد أن يضيف "فوق" إلى" الرؤوس " وفي "الأسياف" من دون أن يكون أراد عطفهاعلى "مثار " وفي " الواو " من دون أن يكون أراد العطف بها وأن يكون كذلك فكر في "الليل " من دون أن يكون أراد أن يجعله خبراً "لكان " وفكر في "تهاوى كواكبه" من دون أن يكون أراد أن يجعل "تهاوى" فعلاً للكواكب ،ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي أراد منه التشبيه. أم لم يخطر هذه الأشياء بباله إلا مراداً فيه هذه الأحكام والمعاني التي تراها.

واعلم أن مَثَل واضع الكلام مَثَل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضه فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك أنك إذا قلت ،"ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له " فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم ،هو معنى واحد لاعدة معان كما يتوهمه الناس .

ذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والأحكام التي هي محصول التعلق[٨]

فالنظم إذن هو توخّي معاني النحو في الكلم _فبيت بشار إذا ما تأملته وجدته كالحلقه المفرغه التي لا تقبل التقسيم ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه، ما يصنعه الصانع حتى يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها ثم يصبّها في قالب ويخرجها لك سواراً أو خلخالاً .وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويقصم السوار .وذلك أنه لم يرد أن يشبه النقع بالليل على حدة و"الأسياف" بالكواكب على حدة ولكنه أراد أن يشبه النقع والأسياف تجول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب وتتهاوى فيه ،فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد ، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد[٩]

انظر إلى عبدالقاهر حين يردّ روعة الشعر وجمال التعبير لا إلى الكلمات ، ولا أوضاع اللغة ، وإنما إلى توخي معاني النحو في معاني الكلام. فبهذا التوخّي يُفضّل الشاعر ويتميز عن غيره.ولوأنّ الشاعر لم يلاحظ تقديم ما ينبغي تقديمه،و تأخير ما يجب تأخيره،أو لو بدأبما يثني به ، أو ثنى بما بدأ به ،لما استطاع أن يحصل على الصورة البديعة والصفة الدقيقة في شعره.

فمنهج عبدالقاهر هو منهج النحو الذي لا يقف عند حدود الحكم بالصحة أو الفساد،بل يمتد إلى البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات،وإجتلاء معانيها وكشف غامضها وبذلك اتسع أفق النحو وغنيت مادته ودخل فيه كل ما

يُراعى في النظم من تقديم وتأخير وما إليه من أسباب الجودة وعدمها، مما استقر عليه العرف فيما بعد يجعلها من علم المعاني، وأن يتجاوز القواعد النحوية إلي الجودة الفنية[١٠]

الذي يتأمل كتاب سيبويه و يطالعه يجد أنه قد أدرك معنى نظم الكلام،وأن النحو عنده لم يكن مجرد إعراب لأواخر الكلمات وما فيها من رفع ونصب وخفض وجزم ، بل كان النحو عنده أعزّ من ذلك، وأرفع قيمة، مما صار إليه في عهود الانحدار التي فُصل فيها النحوعن البلاغة ، فتمزقت أوصال العلمين وكان هذا الفصل جناية عليهما معاً.وبعد فإذا كان عبدالقاهرهو الذي ينسب إليه ابتكار نظرية النظم لأنه بسطها وفصّلها وطبّقها على أبواب جمّة من البلاغة،فإنّ سيبويه هوالذي أمسك المصباح بكلتا يديه،وأنار الطريق أمام عبد القاهر ، وهداه إلى العناية المنشودة.أو بعبارة أخرى إذا كان النظم قد أصبح على يد عبد القاهر بمثابة شجرة عظيمة شاهقة متعددة الأغصان،مثقلة بالثمار، فإنّ سيبويه هو الذي ألقى البذرة قبل أن تبرز الشجرة أمام العيون بمئات السنين.

بل إن الدكتور علي النجدي ناصف يرى أن هنا رحماً ماسة وصلة شديدة بين منهج سيبويه في كتابه وبين منهج علماء البلاغة المتأخرين في علم المعاني .ويفسر هذا بقوله:"فالفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويصدر عنها في تنويع مباحث النحو ، وترتيب أبوابه ـ كما تمثلت لي بالنظر والمراجعة في الكتاب ـ مدارها العامل أولاً وأخيراً .نظر في الجملة حين تكلّم عن المسند والمسند إليه فإذا هي فعلية واسمية..ثم تكلم عن الفعل المحذوف والفعل المذكور والمتعلقات .. ثم صار إلى الجملة الاسمية فتكلم عن الابتداء ونواسخه..ويبدو أن النسق الذي أخذ به سيبويه هو الذي ألهم علماء المعاني فكرة انحصار مباحثه في أبوابه الثمانية المعروفة.وليس يسع المرء وهو يقرأ كلامهم في ذلك إلاأن يتبين اقتباسهم منه واقتداءهم بهداه[١١] والأبواب الثمانية التي تنحصر فيها مباحث علم المعاني هي أحوال الإسناد الخبري – المسند إليه - والمسند-

ومتعلقات الفعل- والقصر- والإنشاء - والفصل والوصل- والإيجاز – والإطناب - والمساواة. وهذه لفتة ذكية من الدكتور النجدي،لأنّ علماء المعاني بطبيعة الأمر قد اعتمدوا في مباحثهم على المسند والمسند إليه. وما يتبع ذلك من بقية الأبواب الأخرى وهذا النهج الذي ساروا عليه لم يكن معروفاً عن علماء النحو وقت تحديد العلوم وتقعيد القواعد،وإنما الطريق الذي سلكه النحاة في ذلك الوقت ينحصر في أثر العوامل وما يعقبها من حركات الإعراب، وما فيها من رفع وخفض وجزم وليس إلى العوامل نفسها.وهذا النهج مخالف لنهج سيبويه الذي حصر اهتمامه بالعامل نفسه فتولدت عنه هذه الأقسام وانتفع بها البلاغيون بعد ذلك في وضع علم المعاني وحصر أبوابه.(١٢)

حقيقة إنّ سيبويه لم يطرق أبواب المعاني كلها كالإطناب والمساواة مثلاً ولكن يكفي أنه قد أوحى إلى المتأخرين من علماء البلاغة بفكرة التقسيم وحصر الأبواب التي عبر عنها الدكتور النجدي في دقة متناهية. وهذا فضل من أفضال سيبويه تركه ميراثاً لمن أعقبه من علماء البلاغة ، إنه فضل لا يمكن جحده على حدّ تعبير الدكتور عبدالقادر حسين.(١٣)

وبعد أن تبيّنّا العلاقة الوثيقة بين النحو والمعنى نقف برهة لننظر في بداية التأليف النحوي.

المبحث الثاني: مسيرة التأليف النحوي:

هنالك بعض الإشارات التي تمثل مراحل قديمة في التأليف يقال إنها سبقت سيبويه. وهذه الإشارات تمثل أقدم مرحلة وصلت إلينا من البحث النحوي عند العرب.

منها تلك الوريقات العتيقة التي ذكرها صاحب الفهرست أن ابن إسحاق رآها ذات يوم عند أحد الوراقين. وهذه الوريقات لم تصل إلينا ، ولم يستطع ابن النديم النظر فيها بعد بحث وتنقيب عنها.(١٤). هذا وتذكر لنا كتب الطبقات كتابين ألفا في النحو قبل كتاب سيبويه، هما: الجامع والإكمال، لعيسى بن عمر الثقفي " المتوفى ١٤٩هـ"

غير أن الكتابين فقدا في وقت مبكر، حتى إن السيرافي " المتوفى ٣٦٨هـ" يقول عنهما: " ما وقعا إلينا ولا رأيت أحداً يذكر أنه رآهما".[١٥]

وهناك كتاب ثالث منسوب لخلف الأحمر " المتوفى ١٨٠هـ" لو صحت نسبته إليه لكان من نفس الفترة التي عاش فيها سيبويه، لكن الكتاب الذي نشر بعنوان: " المقدمة في النحو"[١٦] ليس من عمل خلف الأحمر فيما يرجح، فلم تذكره كتب الطبقات التي ترجمت لخلف الأحمر[١٧]، والمخطوط الذي كتب منه الكتاب قد كتب بعد خلف الأحمر بما يزيد عن سبعة قرون "٨٣٦هـ" وهو مخطوط وحيد غير متصل الإسناد، وفوق هذا فمضمون الكتاب يشهد بأنه متأخر، فمؤلفه يشكو من "التطويل" و "التعليل" وكثرتهما في مؤلفات النحويين. ويذكر البصرين والكوفيين مدرستين متقابلتين واضحتي المعالم، وليس هذا من شأن كتب النحو في القرن الثاني الهجري، وفوق هذا فقد ضم الكتاب قصيدة تعليمية لا شك في خطأ نسبتها إلى الخليل بن أحمد، فالقصائد التعليمية لا تظهر في كل علم إلا في مراحله المتأخرة.

ولكل هذه الأسباب، ولأمور أخرى يضيق المقام عن تفاصيلها، نشك في نسبة هذا الكتاب لخلف الأحمر، لنقرر يقيناً أن كتاب سيبويه يمثل لنا أقدم الجهود التي وصلت إلينا في النحو العربي[١٨].

يقوم النحو عند سيبويه وأستاذه الخليل على نظرية أساسية، هي نظرية العامل، فالعامل هو الذي يحدث الإعراب وعلاماته من الرفع، والنصب، والجر، والجزم، وبدأ سيبويه بعرض الفعل، وتعديه ولزومه، وتلاه بما يعمل عمله من أسماء الفاعل والمفعول، وتتوالى أبواب النحو، وتتوالى معها العوامل مذكورة ومحذوفة، مما يفتح الأبواب على مصاريعها لكثرة التأويل والتقدير في الصيغ، إذ كثيراً ما تحذف العوامل كما تحذف المعمولات. ويسوق سيبويه ذلك في كثرة العلل والأقيسة يرويها عن أستاذه الخليل.

وتتدافع في كتاب سيبويه سيول من تعليلات الخليل، كما تتدافع سيول من أقيسته[١٩]

وربما رجعت جوانب ذلك إلى تلميذ سيبويه الأخفش الأوسط الذي حمل عنه الكتاب وأذاعه في الناس، وقد جلس للطلاب مجلس أستاذه يمليه عليهم بعد وفاته. ويبدو أنه أشاع فيه غير قليل من الغموض والعسر اللذين عرف بهما في مؤلفاته النحوية، حتى لنرى الجاحظ يتعرض له سائلاً: " أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالك تقدم بعض العويص، وتؤخر بعض المفهوم؟" فأجابه: " أنا رجل لم أضع كتبي هذه للّه، وليس هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلت حاجتهم إليّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس، فهم مالم يفهموا. وإنما قد كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكسب ذهبت[٢٠].

ويبدو أن الأخفش الأوسط أشاع في كتاب سيبويه بعض ما كان يسبقه في كتبه من الغموض، ومن العويص الذي لا يفهم إلا بعد تأمل كثير فيه، ولعل ما جعل النحاة بعد سيبويه يتداولون شرحه مراراً وتكراراً، وكانوا لا يزالون يضيفون إلى شروحهم له من العلل والاحتجاجات والأقيسة والتمارين غير العلمية أثقالاً فوق أثقال مع تشعيب مسائل النحو، وتفريعها إلى أقصى حد حتى تتحول بعض شروح الكتاب إلى ما يشبه موسوعات كبرى على نحو ما نقرأ عند السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه وهو يقع في ستة مجلدات ضخام، تفيض بالأقيسة والعلل، وكثرة التخريجات لوجوه الإعراب، والرد على مخالفي سيبويه والمدرسة البصرية في بعض المسائل. وهذا المؤلف بعد التحقيق قد تصل أجزاؤه إلى عشرين مجلداً[٢١].

وهكذا بدأ كل أستاذ يدون ملاحظاته على الهامش شارحاً ومعلقاً على الكتاب، وما لبثت هذه الشروح أن كثرت وتعددت أشكالها، هذا وقد ألف عدد من

النحاة شروحاً لأبواب بعينها من الكتاب أو للكتاب كله، أو لبعض قضاياه أو شواهده. ونجد في كتب الطبقات من أخبار النحويين البصريين، للسيرافي، إلى بغية الوعاة للسيوطي (المتوفى ٩١١هـ) مئات المواضع التي ترسم لنا صورة لقراء الكتاب وكثرة شراحه، حتى إن العالم ليؤلف في الكتاب أكثر من شرح، وذلك على نحو ما فعل المبرد الذي كثرت تصانيفه حول الكتاب.

وبجانب شروح كتاب سيبويه أخذت تؤلف كتب مطولة في النحو كثيرة منها: المقتضب للمبرد، وشرح ابن يعيش لمفصل الزمخشري، تلك الموسوعة النحوية التي حوت عشرة مجلدات.

وتتكاثر الموسوعات والمطولات النحوية حتى القرن السابع الهجري، وحَرِيٌّ بنا أن نذكر كتاب (ارتشاف الضرب) أي عسل النحل، لأبي حيان الأندلسي (المتوفى ٧٤٥هـ) وغيره كثير، وفي كل هذه المطولات النحوية كان المؤلف يستقصي كل ما يستطيع من الشعب والتفريعات والأقيسة والتحليلات، والتخريجات والتأويلات[٢٢].

وكان طبيعياً أن تشتد الحاجة منذ أول الأمر إلى وضع متون وملخصات لكتاب سيبويه، ولما جدَّ بعده من المطولات النحوية حتى يستطيع المبتدؤون الشداة أن يستوعبوا ما بها من قواعد، ويتمثلوها في يسر.

وكان من أوائل من عنوا بذلك الأخفش الأوسط حامل كتاب سيبويه وممليه على طلابه، يدل على ذلك تأليفه كتاباً باسم (الأوسط في النحو) وكذلك فعل الكسائي حيث صنف في النحو مجملاً باسم (مختصر النحو). وعلى هذه الشاكلة أخذت مختصرات النحو ومتونه الملخصة تظهر مبكرة منذ القرن الثاني الهجري، بغرض تيسير النحو وتبسيطه. وتعاقب على هذا التلخيص كثير من أعلام النحاة البصريين والكوفيين طوال القرن الثالث الهجري، منهم ثعلب، والمفضل بن سلمة الضبي، وأبو موسى الحامض، إذ كان لكل منهم في النحو مختصر لطيف.

ولعل مختصراً في النحو لم يلق من الشهرة حينئذ ما لقيه مختصر الزجاجي وقد سماه "الجمل في النحو" وطارت شهرته، إذ ظل طويلاً يدرس في الشام واليمن ومصر وبلدان المغرب والأندلس. وأكب عليه أعلام النحاة في تلك الأمصار بالشرح.

وتوالت حركة تأليف المختصرات والمتون فألف الشيخ زين الدين يحيي بن عبد المعطي النحوي (المتوفى ٦٢٨هـ) ألفية سماها بالدرة الألفية. ولها شروح منها شرح محمد بن أحمد بن محمد الاندلسي البكري، المتوفى٦٨٥هـ" سماها بالتعليقات الوفية، ثم ألف الإمام النحوي المشهور ابن مالك ألفيته المشهورة، التي جمع فيها مقاصد العربية وسماها الخلاصة، وإنما اشتهر بالألفية لأنها ألف بيت في الرجز، وله عليها شرح، وشروحها كثيرة منها شرح ولده بدر الدين أبي عبد الله "المتوفى سنة ٦٨٦هـ" وهو شرح منقح اشتهر بشرح ابن المصنف، وقد خطأ والده في بعض المواضع، ولها شروح كثيرة أشهرها شرح الشيخ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الشهير بابن عقيل النحوي "المتوفى٧٦٩هـ".

ثم جاء جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "المتوفى٩١١هـ" فألف ألفية في النحو و التصريف والخط، جمع فيها بين ألفية ابن مالك وألفية ابن عبد المعطي ،وسماها الفريدة، ثم شرحها وسماه المطالع السعيدة[٢٣].

وهناك مختصر في النحو كتب له الذيوع والانتشار أيضاً، وهو "المقدمة الأجرومية لمؤلفها ابن أجروم المغربي المتوفى "٧٢٣هـ" وظلت لهذا المتن أو المختصر في تعليم الناشئة النحو الأهمية الكبرى في جميع بلدان العالم العربي من الخليج إلى المحيط. واهتم به علماء النحو في كل مكان ووضعوا له شروحاً شتى.

فواضح مما تقدم أن العلماء منذ القرن الثاني الهجري دأبوا يضعون في النحو مختصراتٍ ومتوناً يستخلصون فيها من مطولاته قواعده الأساسية ويصفّونها ويمخضون زبدتها. فالغرض كما تبين من هذه المتون والمختصرات تعليمي، حتى يتبين الناس معالم هذه اللغة ويفهموها.

ولعل الزجاجي هو العالم الذي جند نفسه لهذا العمل، إذ انتحى نحو الاختصار والإيجاز في كثير من مؤلفاته. فها هو يقول في شرحه لمقدمة أدب الكاتب: "وجعلت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز، ليقل حشوه، وتكثر فائدته"[٢٤].

والذي تبين لي من هذا العرض المختصر أن جلَّ العلماء تنصبُّ هموهم والتأليف حول صعوبة النحو وتعقيده ومن ثم السعي في شرحه وتيسيره. وتوالت الدعوات للتيسير والتجديد والتحديث ولكن لا أحسب أنها أضافت كثيراً، فالتأليف عند علمائنا القدامى كان قمة في الروعة والتدقيق، وما نحتاج إليه حقاً هو الالتفات في مؤلفاتنا إلى ربط النحو بالمعنى، وهذا ما أدركه الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه معاني النحو، فأردت أن أطالع بعض أبوابه وأحلل بعض قضاياه.

المبحث الثالث: مباحث من كتاب معاني النحو

أولا :عناصر الجملة العربية:

كيف بدأ الدكتور فاضل صالح السامرائي كتابه ؟

بدأ حديثه بالجملة؛ لأن الجملة هي أهم لبنة من لبنات لغتنا الشريفة ، فبالجملة تتحدد وظيفة الكلمة ويقع التفاهم [٢٥]

وإذا ما استقرأنا كتب السابقين نجدهم قد تناولوا مفهوم الجملة وعرفوها، فمنهم من سوّى بينها وبين الكلام، ومنهم من فصلها عنه.وقد تناولها سيبويه في حديثه عن الكلام حيث قال: "ألا ترى أنك لو قلت: " فيها عبد اللّٰه" حسن السكوت و كان كلاماً مستقيماً، كما حسن واستغنى في قولك: "هذا عبد اللّٰه"[٢٦] فالجملة عنده تعني المسند و المسند إليه.

إلا أنَّ المبرد قد صرَّح بمصطلح الجملة حين قال: "وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن السكون عليها، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، وإذا قلت: قام زيدٌ بمنزلة قولك "القائم زيد"[٢٧]. إذن فالكلام والجملة يبدوان مترادفين.

وكان الجرجاني ممن جعل الكلام مطابقاً للجملة حين قال: "اعلم أنَّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يُسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفاد نحو: خرج زيدٌ سمى كلاماً وسمى جملة"(٢٨).

أما الذين فرقوا بين الكلام والجملة فمنهم الرضي حين قال: " والفرق بين الجملة والكلام، أنَّ الجملة ما تتضمن الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مع ما أسند إليه مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"(٢٩).

أما ابن هشام فقد فرَّق بين الجملة والكلام، وتحدث عن الجملة وذكر أقسامها، وبيَّن أحكامها، حيث قال: والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ "قام زيد" والمبتدأ وخبره كـ: "زيد قائم" وما كان بمنزلة أحدهما نحو:" ضُرب اللصّ"، و"أقائم الزيدان"، و "ظننته قائماً".

وقبل تعريفه للجملة عرّف الكلام: "القول المفيد بالقصد"(٣٠).

والمحدثون كذلك خاضوا في الحديث عن الجملة في أقصر صورها ، هي أقل قدراً من الكلام، يفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه سواء أتركب هذا القدر من كلمة واحدة أم أكثر(٣١).

ويعرفها الدكتور مهدي المخزومي فيقول: "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أيّ لغة من اللغات، وهي المركب الذي بيَّن المتكلم عنه، وأنه صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى أذن السامع"(٣٢).

ثم تحدث عنها الدكتور كمال بشر فقال: "أما الجملة فهي الكلام المفيد الذي يعطي أجزاءه معانٍ مستقلة"(٣٣).

فالحديث عن الجملة مداره المسند والمسند إليه؛ لأنه لا يستغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً. كما قال سيبويه[٣٤].

وقد اختلف العلماء في تقسيم الجملة، فمنهم من جعلها اسميه وفعلية، ومنهم من يرى أن الجملة على أربعة أضرب كالزمخشري[٣٥]، ومنهم من عدَّ الجملة الشرطية من قِبَل الفعلية[٣٦].

فهذه حصيلة القول تقريباً في الحديث عن الجملة، أما إذا ما تأملنا (معاني النحو) فنجد صاحبه قد أفرغ تجاربه وحصاد علمه فأخرج الجملة بثوب جديد. فبدأ كتابه بالحديث عن عناصر الجملة، حيث ذكر أنَّ أبرز العناصر التي تتألف منها الجملة وهي:

المفردة، ونعني بها الكلمة، مثل أسد، سيف، شجرة.

البناء الصرفي: "الصيغة كأسماء الفاعلين والمفعولين والمبالغة واختلاف الجموع للاسم الواحد.

التأليف بنوعيه:

آ. التأليف الجزئي نحو : رغب إلى – رغب في – رغب عن، فرغب إليه بمعنى تضرع إليه واتصل به، ورغب فيه، أراده واستحبه، ورغب عنه عزف ومال عنه.

ب. التأليف التام: كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف والتوكيد وعدمه، وما إلى ذلك.

النغمة الصوتية: وهي ذات دلالة على معنى، فالجملة الواحدة قد يختلف معناها باختلاف النغمة، كأن تقول: "زيد عنده مال" وتشدّ صوتك على مال" وتفخم الصوت فيه فيكون المعنى أنه ذو مال كثير أو متعدد ونحو ذلك.

وقد برهنت التجارب الحديثة على أنّ الإنسان حين ينطق بلغته، لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبيرة، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق

بها، ومن أشهر هذه اللغات، اللغة الصينية إذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معانٍ، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة، ففي اللغة الصينية كلمة (فان) مثلاً تؤدي ستة معانٍ لا علاقة بينها هي: (نوم، يحرق، شجاع، واجب، نعم، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة[٣٧].

٥- التطور التاريخي للدلالة: فدلالات التعبير الواحد، قد تتغير والمعاني قد تتحول، وربما كان من الصعوبة معرفة الأصل للدلالة، وذلك نحو قولهم: "رفع عقيرته" بمعنى صاح، إذ ليس هناك من علاقة لغوية بين "رفع عقيرته" و "صاح". فلو ذهبت تشتفّ هذا بأن نجمع بين معنى الصوت وبين معنى " ع ق ر " لبعُد عنك وتعسّفت.

وأصله "أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم صرخ بأرفع صوته فقال الناس رفع عقيرته"[٣٨]

الإعراب: وهو أبرز ظاهرة في العربية، حيث ذكر فيه أن العربية ورثت ظاهرة الإعراب من اللغة السامية الأم، وقد كانت اللغات السامية القديمة كلها معربة[٣٩].

بل ذكر أنَّ قانون حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠) ق.م المدون باللغة البابلية القديمة، يوجد فيه الإعراب كما هو في اللغة العربية الفصحى تماماً، فالفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، وعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة تماماً كما في العربية[٤٠].

كذلك تحدث عن معنى الإعراب مطوّلاً متكئاً فيه على مراجع ومصادر غزيرة كالإيضاح وجمل الزجاجي والخصائص وشرح الرضي على الكافية، وشرح الأشموني، وهمع الهوامع، وأسرار العربية، وشرح شذور الذهب، وغيرها من أمهات الكتب، والأشباه والنظائر، ومن أسرار العربية والكشاف.

كما ذكر دلالة العلامات على المعنى، واختلاف اللغات، والإتباع والمجاورة، والنقل، وحذف الحركة لسبب غير إعرابي، وعلامات الحكاية، والغرض من الإعراب، حين ذكر ثلاثة أغراض:

أ/ الإبانة عن المعاني.

ب/ السعة في التعبير.

ج/ الدقة في المعنى الذي يعدَّ من الفوائد الجليلة للإعراب، التي تمنح اللغة غناءً ودقة في التعبير عن المعاني، ويمكن المتكلم من التعبير بدقة عن المعاني التي يريدها مما لا تجد نظيره في اللغات المبنية[٤١].

كل هذا الحشد الهائل تحت سقف الإعراب، الذي يُعدَّ صاحب القدح المعلى في العربية. ففي كم من فروع اللغة ستتجوَّل لتتحصل على هذه المعلومات القيمة، جاء بها صاحب معاني النحو تحت عنوان واحد. أنعِمْ به من شمول وجمال وكمال.

هذه الدرر ضمها عنوان واحد، هو عناصر الجملة تواءمت كل المعاني فنظمت عقداً فريداً، تنوعت حباته وانسجمت فروع اللغة المختلفة فرسمت لوحة، متناغمة جذابة تجد فيها الصرف والنحو والبلاغة وعلم اللغة بدءاً من المفردة والبناء الصرفي والتأليف بنوعيه. والنغمة الصوتية والتطور التاريخي للدلالة، خاتماً بالإعراب الذي هو أبرز ظاهرة في العربية بل من أهم عناصرالجملة فيها.

ثانياً : النكرة والمعرفة:

إذا طالعنا كتاب سيبويه لم نجده قد عرف النكرة في كتابه، ثم جاء المبرد وترسم خطى سيبويه في كتابه وبفطنته استخلص تعريف النكرة التي لم يعرفها سيبويه؛ فسيبويه قد ابتدر حديثه بقوله :هذا باب مجرى نعت المعرفة عليها، قال "فالمعرفة خمسة أشياء: الأسماء التي هي أعلام خاصة والمضاف إلى معرفة إذا لم ترد معنى التنوين والألف واللام والأسماء المبهمة والإضمار ... وإنما صار معرفة؛ لأنه اسم وقع عليه ما يعرف به بعينه دون سائر أمته"[٤٢]

فاستشف المبرد تعريف النكرة من تعريف سيبويه للمعرفة فقال: "الاسم المنكر هو الواقع على كل شئ من أمته لا يخص واحداً من الجنس دون سائره وذلك نحو رجل وفرس وحائط وأرض وكل ما كان داخلاً بالبنية في اسم صاحبه فغير مميز منه إذ كان الاسم قد جمعهما "(٤٣)

وذكر المبرد أن النكرة هي أصل الأسماء لأنها تقع على كل شئ ولا تخص واحداً من الجنس ثم ذكر أنّ المعرفة تدخل على أضرب جماعها خمسة أشياء .

أما ابن السراج فقد عرف النكرة بقوله : "كل اسم عمّ اثنين فما زاد فهو نكرة وإنما سمي نكرة من أجل أنك لا تعرف به واحداً بعينه إذا ذكر ، ثم انتقل إلى قسمي النكرة ... "(٤٤)

تلك هي البداية التقليدية لدرس النكرة والمعرفة لكثير من كتب النحو . أما ابن جني فقال :"فالنكرة ما لم تخص الواحد من جنسه نحو رجل وغلام وتعتبر النكرة باللام وبـ"رب" نحو الرجل والغلام ورب رجل ورب غلام"(٤٥)

إلّا أن ابن جني قد أضاف جانبا دلالياً مهما للنكرة وهو قوله:"واعلم أن النكرات أعمّ وأشيع من بعض. فأعم الأسماء وأبهمها "شيء "، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعا ً،قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)الحج :١ فسماها شيئاً وإن كانت معدومة فموجودة إذن أخص من شيء لأنك تقول : كل موجود شيء وليس كل شيء موجوداً. ثم قال :"وأما المعرفة فما خصّ الواحد من جنسه"(٤٦).

لعل الدكتور فاضل اتخذ هاتين المفردتين بداية موفقة حيث قال :"إذا أطلقت النكرة دلت على أمرين :إرادة الوحدة وإرادة الجنس. فإرادة الوحدة نحو قوله تعالى : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى)يس :٢٠. ونحو: "زارني اليوم رجل غريب". وإرادة الجنس نحو قوله تعالى :(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ)النور :٤٥ وقوله تعالى :(وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)البقرة :٢٢١ فإذا كانت النكرة في حيز النفي أو شبهه كانت دلالتها على العموم أرجح ، وذلك نحو قولك :" ما جاءني رجل "

فالراجح أنك تريد . لم يجئك أحد من هذا الجنس وربما دلّ بوجه مرجوح على أنّ المعنى: لم يجئك رجل واحد بل أكثر وإن قلت :"ما جاءني رجل بل رجال" دلّ ذلك على إرادة النفي الواحد نصاً[٤٧].

جاء في التصريح أن "النكرة في سياق النفي تعمّ "[٤٨]وجاء في الطراز :" النكرة إذا أطلقت ويجئ الآخر على جهة التبعية فأنت إذا قلت : أرجل في الدار أم امرأة ؟ حصل بيان الجنس، والوحدة جاءت تابعة غير مقصودة، وإذا قلت: أرجل عندك أم رجلان ؟ فالغرض ههنا الوحدة دون الجنسية "[٤٩].

وقال سيبويه :" يقول الرجل: (أتاني رجل يريد واحداً في العدد ، لا اثنين فيقول :" ما أتاك رجل" أي أتاك أكثر من ذلك أو يقول: "أتاني رجل لا امرأة فيقال: " ما أتاك رجل "أي امراة أتتك "[٥٠]

أرأيت تلك البداية الرائعة لهذا الدرس، إذ تشاركت أقوال النحاة وتصاهرت بطون الكتب وأقوال العلماء فكان قول سيبويه يقف بجانب قول صاحب التصريح، وقول صاحب الطراز يوافق قول صاحب الإتقان فكان هذا العرض الرائع.

تطلعت عيناي زهو الكتب أبحث وأنقب عن الغرض من التنكير، ولقلة خبرتي وضعف دربتي لم أجد ما أنشد أو قل :لم أعثر على مبتغاي في كتاب بعينه فكانت فرحتي أتمّ عندما وجدت الدكتور فاضل السامرائي قد رصد أغراض التنكير في تسع نقاط شفعها بالشواهد موضحاً الدلالة في كل . وهي:

١) إرادة الواحد كقوله تعالى :(ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) يوسف : ٥٩

٢) إرادة الجنس نحو قوله تعالى :(لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يونس :٦٢

٣) التعظيم نحو قوله تعالى :(ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) هود :١٠٣

٤) التهويل نحو قوله تعالى :(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) البقرة : ٤٨

٥) التكثير نحو قوله تعالى :(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)القلم :٣ أي كثيراً غير منقطع ، ونحو قولنا :"هو عنده مال "أي كثير"

٦) التقليل كقوله تعالى :(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا) يونس : ٤٤

٧) التخصيص نحو قوله تعالى :(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) النساء :٤٧ والمراد بالوجوه ههنا وجوه الكفار ،فالنكرة عامة والمراد بها التخصيص .

٨) التحقير كقوله تعالى :(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَه ❖ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) عبس :١٨- ١٩."من أي شيء خلقه؟أي من شئ حقير " ثم بينه بقوله : من نطفة خلقه [٥١]. وكقوله تعالى :(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) البقرة : ٩٦ بمعنى أية حياة كانت ولو كانت حقيرة مهينة .

٩) التجاهل والاستهزاء نحو قوله تعالى :(هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)سبأ :٧كأنهم لا يعرفونه [٥٢]. إلى غير ذلك من الأغراض وهذا ما يميز درس النكرة والمعرفة ـ عند السامرائي ـ عن غيره من الكتب وهذا ما أعجبني في هذا المبحث.

ثالثاً : أفعـــال المقـــاربة :

ما يشغلنا ـ حقاً ـ عن أفعال المقاربة أننا نركز على أنها ككان لأنها ترفع الأول وتنصب الثاني . إذن فلِمَ فُرّق بينها وبين كان ؟ فالإجابة هي أنّ أفعال المقاربة لا يكون خبرها إلا فعلاً مضارعاً .

ككان كاد وعسى لكن ندر غير مضارع لهذين خبر[٥٣]

ونبدأ في استعراض الشواهد المتنوعة التي جاءت على القاعدة أو التي شذت عنها فعلى الأول قولهم :

عَسَى الكربُ الذي أمْسَيتَ فيه يكونُ وَرَاءه فَرجٌ قريبُ[٥٤]

وعلى الثاني قولهم:

أَكثرتَ في العزْلِ ملحّاً دائماً لا تُكثرنْ إني عسيتُ صَائماً [٥٥]

ثم ننتقل لنقارن بين الأفعال التي يكثر اقتران خبرها بأنْ والتي يقل اقتران خبرها بها . وعلى هذا النهج نسير، فنقارن في تعلق الخبر بأن ْولكن يبقى السؤال: هل فكرنا في دلالة اقتران أنْ بأخبار أفعال المقاربة ؟ وهل وقفنا في معانيها ؟

لا أحسب ذلك ، فالذي يتتبع جلّ الكتب التي تعرض المسألة لا يجد تنقيباً عن المعنى أو بحثاً عن الدلالة ، وهذا ما يحمد للدكتور فاضل السامرائي حيث نقّب في الكتب وجاء بالمعلومات المنثورة في مكان واحد .

لماذا اقترن خبرها المضارع بأنْ ؟ ذلك أنها لما كانت للاستقبال جاءوا بأنْ الدالة على الاستقبال فأدخلوها على خبرها، فإذا أرادوا أن يقربوها من الحال حذفوا أنْ وهو قليل [٥٦]

جاء في شرح ابن يعيش : لما كانت عسى طمعاً وذلك لا يكون إلا في ما يستقبل من الزمان ، جعلوا الخبر مثالاً يفيد الاستقبال ،إذ لفظ المصدر لا يدل على زمان مخصوص .

و أما لزوم أن الخبر فلما أريد من الدلالة على الاستقبال وصرف الكلام إليه ، لأنّ الفعل المجرد من أنْ يصلح للحال والاستقبال و(أنْ) تخلصه للاستقبال ، والذي يؤيد ذلك أنّ الغرض من (أنْ) الدلالة على الاستقبال لا غير . وأما قول الشاعر :

عَسَى طيئٍ من طيئٍ بعد هذه ستطفئ غُلات الكُلى والجَوانحِ [٥٧]

لما كانت السين كـ(أنْ) في الدلالة على الاستقبال وضعها موضعها وإنْ اختلفت من حيث أنّ الفعل لا يكون معها في تأويل مصدر [٥٨] .

أرأيت عمق العرض ودقة التحليل والغوص في المعنى ، فالمعنى هو الأساس والبناء . تدبر قوله تعالى :(إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) النور :٤٠ مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها[٥٩].

وجاء في الأشموني وإذا قال (لم يكد يبكي) فمعناه لم يقارب البكاء فمقاربة البكاء منتفية ونفس البكاء منتفٍ انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة [٦٠] انظر كيف تؤثر التراكيب النحوية في المعنى وكيف يؤدي التغيير في التعبير إلى تغيير في المعنى .

كل هذه الدقائق عرضها السامرائي في استعمال فعل المقاربة (كاد) إذ من المعهود في كتب النحو أن نقف عند عملها ومعناها ومشابهتها لكان، لكن لا تفتش الكتب عما تحت التعبير لنصل إلى بلاغة المعنى ولنطرح سؤالين :١/ لماذا غيّر ذو الرمة شعره ،وما الأساس الذي بنى عليه نقد شعره ؟

٢/ هل يختلف استعمال كاد في الآيتين الكريمتين في قوله تعالى :(إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) وقوله تعالى:(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُون)البقرة :٧١ ؟

ذهب قسم من النحاة إلى أنّ كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات فإن قلت كاد يفعل فمعناه لم يفعل ، وإن قلت ما كاد يفعل فمعناه أنه فعله بعد جهد . والدليل على ذلك قوله تعالي :(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُون). ولأجل هذا غيّر ذو الرمة شعره عندما قال :

هي البرءُ والأسقامُ والهمّ والمُنَى ... وموتُ الهَوى في القلبِ منّي المُبْرحُ

وكانَ الهَوى بالنّأي يُمحى فيمَّحي ... وحُبّكُ عندي يْستَجِدّ وَيَرْبَحُ

إذَا غيّر النأيُ المُحبّينَ لمْ يَكَدْ ... رَسِيْسُ الهَوى منْ حُبّ ميّةَ يَبْرَحُ [٦١]

فلما انتهى إلى هذا البيت ناداه ابن شبرمة أراه قد برح . قال فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويتفكّر ثم قال :

إذا غيّر النأي المحبين لم أجِدْ ... رسيسَ الهوى من حبّ ميّة يَبْرحُ

قال: فلما انصرفت حدثني أبي قال أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرّمة . وأخطأ ذو الرّمة حين غيّر شعره لقول ابن شبرمة [٦٢] .إنما هذا كقوله تعالى :(ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا).

فالآراء قد اضطربت في هذه الآية فمنهم من نظر إلى المعنى وأعرض عن اللفظ ، وذلك أنّه حمل الكلام على نفي المقاربة ، لأنّ كاد معناها قارب، فصار التقدير لم يقارب رؤيتها وهو اختيار الزمخشري ، والذي شجعهم على ذلك ما تضمنته الآية من المبالغة بقوله :(ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ).

والذي يراه السامرائي أن المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها ، والذي يدل على ذلك قول تأبط شراً:

فَأُبْتُ إلى فَهْمٍ وَمَا كِدت آئبا

والمراد ما كدت أؤوب كما يقال سلمت وما كدت أسلم ، ألا ترى أن المعنى أنه آب إلى فهم وهي قبيلة ، ثم أخبر أن ذلك بعد أن كاد لا يؤوب ، وعلة ذلك أن كاد دخلت لإفادة معنى المقاربة في الخبر ، كما دخلت كان لإفادة الزمان في الخبر فإذا دخل النفي على كاد قبلها كان أو بعدها لم يكن إلا لنفي الخبر كأنك قلت : إذا أخرج يده يكاد لا يراها . فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع . هذا مقتضى اللفظ فيها وعليه ، المعنى القاطع في هذا قوله تعالى :(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُون) وقد فعلوا الذبح بلا ريب[٦٣].

فأنت ترى أن اللفظ نصير المعنى في نهاية الجدال، يقف بجواره في نظم بديع يؤكده الدليل القاطع والحجة الحاسمة ، فلله درك يا سامرائي .

رابعاً: حرفا الاستقبال (السين وسوف) :

ما دعاني لاختيار هذين الحرفين شيئان :

١. ربط السامرائي للمعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي .

٢.الفروق الدقيقة بين حرفين اختصاصهما واحد ودلالة استعمالهما واحدة ، حيث يفيدان التنفيس والاختصاص بالفعل المضارع الذي بمعنى الاستقبال .

عندما عرض السامرائي حرفي الاستقبال ـ السين وسوف ـ في معرض حديثه عن جزم المضارع ، استعرض الأدوات التي يجزم بعدها الفعل ثم ذكر جواب الطلب ثم أفرد عنواناً لحرفي الاستقبال وأحسب أنّ في ذكرهما إضافة بُعْدٍ آخر يمثل التماسك السياقي بين الأبواب والمفردات كما يشير إلى تلك العلاقات المتشابكة . وقد أشار إلى هذا الدكتور تمّام حسّان في كتابه الرائع (مناهج البحث في اللغة) حيث يقول :"يعمد بعض المؤلفين أحياناً وعلى الأخصّ أصحاب الحواشي إلى الإتيان بالمبتدأ في صفحة ثم الخبر بعده بصفحات ، فما الذي يجعل هذا الخبر مترابطاً مع ذلك المبتدأ؟ إنه ولا شك التماسك السياقي ولولا ذلك التماسك ، لظلّ المبتدأ المسكين يتطلب خبره إلى أن يتم الكتاب بعونه تعالى . ثم انظر بعد ذلك في "ضرب محمد علياً " لترى فيها عدداً من العلاقات المتشابكة . محمد فاعل لضرب ، وعلي مفعول به ،وقد جاء ضرب في صيغة المفرد الغائب ليتماسك مع محمد الذي يطلبه بهذه الصورة ، ووجود علي في الجملة منصوباً قضى بالرفع لمحمد ، وبصفة التعدي لضرب وهلم جرا"[٦٤] فهذا التماسك السياقي وتلك العلاقات المتشابكة هذا ما صنعه السامرائي في كتابه ويبدو بارزاً في ذكره للسين وسوف عقب جزم الفعل المضارع .

إن سوف والسين حرفا استقبال [٦٥] قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) النساء:٥٦ وقال تعالى :(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) المدثر :٢٦ . ولفظ السوف يدلّ على البعد عموماً ، فمن معانيه، الموت ومثله السّواف ، والسّوف الصّبر ، ومنه المسافة والسّيفة وهو بعد المفازة والطّريق [٦٦].

والسّوف الشّمّ ، وقيل بل هو لشمّ رائحة ما ليس حاضراً فلفظ السّوف عموماً يفيد البعد .

وحرف الاستقبال" سوف" موافق للفظ السّوف ومعناه ، فإنّ الاستقبال بـ(سوف) فيه بعد وتراخٍ وربما أخذ منه وجرّ لمعنى الاستقبال ، كما أخذ حرف (على) من العلو وحرف(خلا)من الخلو .

هذا ما عنيته بقولي إنه يقارن بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وهذا ما نفتقده في جلّ مؤلفاتنا .

وقالوا: وسوف أكثر تنفيسا من السّين ، فإنّ لفظها أكثر، فهو يؤذن بالبعد. فالسامرائي يوظّف اللغة بكل صنوفها ، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

صحيح أن السامرائي لم يكن أول من ذكر هذه المعاني لكن ما يحمد له جمع أشتات الأبواب ووضعها في مكان واحد .فقد نقل قول الرضي في هذا الشأن حيث قال :"وسوف أكثر تنفيسا من السين ...وقيل إن ّالسين منقوص من سوف دلالةً بتقليل الحرف على تقريب الفعل "[٦٧].

وما زالت الجوانب الدلالية تتكشف في غضون المقارنة بين السين وسوف حيث قيل: "إن التراخي في سوف أشد منه في السين، بدليل استقراء كلامهم قال تعالى :(وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) الزخرف : ٤٤ وطال الأمد والزمان وقال تعالى :(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ) البقرة :١٤٢ فتعجل القول"[٦٨].

وقال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) النساء :٥٦ وقال تعالى : (سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) يوسف :٦١ فاستعمل سوف للبعيد والسين للقريب .

أما الدلالة في جانب التركيب وعدد الحروف الذي يحقق مقولة :"زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" فقد ذكرها السامرائي بقوله :"والذي يبدو أن سوف أكثر توكيداً من السين لزيادة حروفها عليها، ويدل على ذلك، الاستعمال القرآني لها :قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) النساء:١٠ وقال تعالى :(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا(٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) النساء .

فجاء بـ(سوف)هنا بخلاف آية الأيتام وذلك أن ّالمقام يقتضي الزيادة في التهديد، لأنه في عقوبة قتل النفس عدوانا ً وظلما ، بخلاف الآية السابقة، فإنها في أكل مال اليتامى، والقتل أشد ولا شك، فزاد لهم في التهديد والتوكيد لمّا زاد الفعل سوءا ونكراً، ثم إنه

لما قال :"عدوانا وظلما" فزاد العدوان على الظلم ، زاد لهم التهديد فجاء بـ(سوف) التي هي آكد من السين. ونسب الإصلاء إلى نفسه فقال :(فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) بخلاف الآية السابقة فإنه قال:(وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) فنسبه إليهم [٦٩].

ما أروع الدلالة والربط السياقي في هذا الكتاب وما أكثرها ولكن صفحات البحث القليلة تضيق عن تعداد مآثر هذا المؤلف الرائع!.فحسبها أنها إشارات إلى فتح أبواب البحث والنظر في المؤلفات الحديثة.

الخـــــاتمـــــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فهذه سياحة علمية قصيرة في صفحات كتاب معاني النحو ـ للدكتور فاضل صالح السامرائي، حيث رافقت المؤلف في بعض المباحث التي عكست خبرة المؤلف وفهمه للغة والنحو وربطهما بالمعنى، حيث رد للنحو اعتباره في ظل الضعف الذي طفق يستشري في عقول أبنائنا على مختلف مستوياتهم التعليمية .فنحن - كما قال – محتاجون إلى فقه للنحو يصل إلى درجة الضرورة . فالكتاب جمع تلك الشذرات والعبارات التي وردت عرَضاً في كتب التفسير أو في كتب الأدب أو النحو أو اللغة ووضعها في مؤلف رائع تناولت بعض مباحثه بالدراسة والتحليل وخلصت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج :

١. بروز الجانب الدلالي والتركيز عليه.

٢. .الدعوة إلى دراسة النحو على أساس المعنى مما أكسب كتابه الجدة والطرافة والنداوة والطراوة في درس النحو .

٣. .يعد الكتاب مدعاة إلى تدبر القرآن والتفقه في معانيه، وتذوق ألفاظه، وربط ذلك كله بالنحو الذي هو سيد العلوم .

٤. ما يحمد للسامرائي أنه أخذ أشتات الأبواب المتناثرة في كتب النحو وغيرها ووضعها في مكان واحد طلبا للمنفعة والعلم .

٥. ربط السامرائي المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي في كثير من مباحثه، كما بين التماسك السياقي والعلاقات المتشابكة بين الأبواب والموضوعات .

٦. من أبرز سمات هذا المؤلف ذكر الأغراض لكل موضوع وهذا يعكس الجانب الدلالي الذي زاد العرض جمالا.

ثـــانياً : التـــوصيـــات:

١. في ظل الضعف في الجامعات وعدم ربط النحو بالمعنى وبعد تزايد الشكوى من النحو وقسوته وجفافه أوصي بتدريس هذا الكتاب لطلاب الدراسات العليا من كليات اللغة العربية المختصة بعد معرفتهم للكتب الأصيلة والعريقة .

٢. توجيه الأبحاث في كليات اللغة العربية إلى دراسة مثل هذه الكتب بدلا عن الموضوعات التقليدية التي لا تضيف لهم جديداً كالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات وغيرها .فدراسة مثل هذه الكتب التي تربط بين القديم والحديث توجه تفكيرهم وتوقد فيهم جذوة التأليف والتجديد .

٣. أوصي بدراسة مناهج هذه الكتب الجديدة كمؤلفات تمام حسان وغيره لأنها تنقل إلى القارئ صوراً عن النظرات المختلفة إلى منهج الدلالة لما فيها من الغناء والنفع للغتنا الشريفة .

الهوامـــش:

*فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي

وللدكتور فاضل السامرائي كتب عديدة منها: كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ،كتاب معاني النحو، معاني الأبنية في العربية ،الجملة العربية والمعنى، الجملة العربية تأليفها وأقسامها. من عشيرة «البدري» إحدى عشائر سامراء ، ويُكنّى بـ (أبي محمد). ولد في سامراء عام ١٩٣٣م أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد حسن باشا أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن الكريم، وكشف ذلك عن حدة ذكائه . أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سامراء ، ثم انتقل إلى بغداد في مدينة

الأعظمية ليدخل دورة تربوية لإعداد المعلمين، وتخرج فيها عام ١٩٥٣م ، عُيّن معلماً في مدينة بلد عام ١٩٥٣ م ، وبعدها أكمل دراسته في دار المعلمين العالية بقسم اللغة العربية (كلية التربية) عام ١٩٥٧م . حاز درجة (البكالريوس) ، بتقدير امتياز ، وكان أول من حاز درجة الماجستير في كلية الآداب وفي السنة نفسها عُيّن مُعيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد ومن جامعة عين شمس في كلية الآداب في قسم اللغة العربية، نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٨م . ثم عاد إلى العراق ، وعُيّن في كلية الآداب / جامعة بغداد . وعُيّن عميداً لكلية الدراسات الإسلامية، ثم رحل إلى الخليج، ليعمل أستاذاً في جامعة عجمان ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني عام ١٩٩٩م إلى صيف عام ٢٠٠٤م حيث عاد الدكتور فاضل إلى بلده الحبيب العراق .

١- ألفية ابن مالك في النحو والصرف لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ٤٠،دار السلام ،ط٣، ١٤٢٧هـ ،٢٠٠٦م

٢- معاني النحو ـ تاليف الدكتور فاضل صالح السامرائي ،١- ٩ الناشر ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ط٢\ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٣- معاني النحو ١\٩

٤- المرجع السابق ١\١٥وما بعده

٥- فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي، المحقق عبد الرزاق المهدي،١٦، إحياء التراث العربي ،ط:١، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢مـ .

٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري، ١٧٦، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ط٣، ١٤٠٥ه - ١٨٨٥م.

٧- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي المحقق، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، ١٥، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط ١ ، ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.

٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ٤١٣ ، مكتبة الخانجي، ط/٣

٩- المرجع السابق ٤١٤

١٠- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ٣٩٧، ٣٩٥، دار غريب القاهرة.

١١- سيبويه، إمام النحاة، الدكتور علي النجدي ناصف، ١٧٨- ١٨٠.نهضة مصر.

١٢- شروح التلخيص، ج:١، ١٦٢.

١٣- أثر النحاة في البحث البلاغي، ١١٦

١٤- الفهرست لابن النديم، ٦١.

١٥- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، ص٥، دار الاعتصام، ط/١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٦- حققه عز الدين التنوخي، ونشره في دمشق سنة ١٩٦١م، ينظر شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، حققه وقدم له و علق عليه د. رمضان عبد التواب، د. محمود فهمي حجازي، د. محمد هاشم عبد الدايم، ص٥ "التقديم"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، ١٩٨٦م

١٧- ينظر الفهرست ٥٠، ٧٤، مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص٤٦، مكتبة نهضة مصر، بالقاهرة ، وطبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص١٧٧، دار المعارف بمصر، ط/٢

١٨- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد، السيرافي ٦/١.

١٩- المدارس النحوية، للدكتور شوقي ضيف، ٤٦، دار المعارف بمصر، ط:٧.

٢٠- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٩١/١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ط/١، ١٣٦٢هـ ، ١٩٤٣.

٢١- مقدمة رمضان عبد التواب علي تحقيق شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي ٣/٢.)

٢٢- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، للدكتور شوقي ضيف، ص١١، دار المعارف بالقاهرة

٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة، ١٥٧/١، أعادت طبعه بالأفست مكتبة المثنى، لصاحبها قاسم محمد الرجب

٢٤- شرح مقدمة أدب الكاتب، نقلاً عن الزجاجي حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الإيضاح، لمازن المبارك، ص٣٣ دار الفكر، دمشق، ط/٢ ، ١٩٨٤م.

٢٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان،١- ١٧، ١٤١٩هـ ،ط - ١

٢٦- الكتاب: سيبويه:تحقيق عبد السلام محمد هارون٨٨/١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

: محمد بن يزيد المبرد ،تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ـ ١- ٨،عالم الكتب. — بيروت. ٢٧- المقتضب

٢٨- الجمل في النحو، الجرجاني، تحقيق عبد الحليم عبد الباسط، ٤٠

٢٩- (شرح الكافية للرضي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ٨/١

٣٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، هشام الأنصاري، حققه مازن المبارك محمد، ٣٦٣، دار الفكر بيروت،ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣١- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ٢٧٦

٣٢- في النحو العربي، مهدي المخزومي، ٣١.

٣٣- دراسات في اللغة، الدكتور كمال بشر، ٢٢٦/١.

٣٤- الكتاب ٢٣/١

٣٥- المفصل في علم العربية،للزمخشري، ٢٥ ،دار الجيل لبنان، ط- ٢.

٣٦- أنظر الجمل التي لها محل من الإعراب في ديوان حسان بن ثابت، رسالة ماجستير للطالبة إيمان حسن جاد الله، ٢٠

٣٧- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ،١٠٣

٣٨- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني، ٦٦/١

٣٩- العربية، ليوهان فك: ترجمة عبد الحليم النجار،٣٣،دار الكتاب العربي،القاهرة ١٣٧٠هـ ،١٩٥١م التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، ٧٥، مطبعة السماح ١٩٢٩م .

٤٠ - معاني النحو، ٢٠/١

٤١- المرجع السابق ٣٤/١.

٤٢- الكتاب ،٥/٢

٤٣- المقتضب ،٢٧٦/٤

٤٤- الأصول في النحو أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج تحقيق: عبد الحسين الفتلي ١٤٩:١،مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت ،ط/٤

٤٥- اللمع في العربية،أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي،تحقيق فائز فارس،١٠٥،دار الكتب الثقافية،الكويت.

٤٦- المرجع السابق والصفحة.

٤٧- معاني النحو ،٣٦/١

٤٨- شرح التصريح ،١٤٨/١

٤٩- الطراز ليحيى بن حمزة العلوي،١٢/٢ ،مطبعة المقتضب بمصر،١٣٣٢هـ،١٩١٤م

٥٠- الكتاب ٢٧/١

٥١- الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ،190/١ ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ،ط٣، ١٣٧٠هـ،١٩٥١م.

٥٢- البرهان في علوم القرآن،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم،91/٤ دار إحياء الكتب العربية،ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

٥٣- الفية ابن مالك ٤٤.

٥٤- انظر شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي تحقيق محمد الريح هاشم ١٠٧\٢ دار الجيل - بيروت ط، ١ ١٤١٦هـ \ ١٩٩٦م .

٥٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،بهاء الدين بن عقيل ،تحقيق محمد محي الدين ٢٩٩\١ ، المكتبة العصرية - بيروت ، ١٤١٣هـ

٥٦- معاني النحو ٢٤٥/١

٥٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك،للمرادي ،شرح وتحقيق عبدالرحمن علي سليمان، ١٢٩\١ دار الفكر العربي.

٥٨- شرح المفصل،للشيخ موفق الدين بن يعيش١١٨/٧ ،طبع ونشر ادارة الطباعة المنيرية .

٥٩- الكشاف للزمخشري، ١٧٥/١ ،دار الكتاب العربي بيروت ط٣، ١٤٠٧هـ

٦٠- شرح الأشموني ٢٦٨/١

٦١- شرح الكافية الشافية لابن مالك ،تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، ٥٥\١، مركز البحث العلمي - أم القرى.

٦٢- دلائل الإعجاز ، ٢١٢.

٦٣- شرح المفصل ١٢٤/٧

٦٤- مناهج البحث في اللغة ،الدكتور تمام حسان، ٢١٧ ،مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠١٤م

٦٥ الكتاب ، ٢/ ٣١١

٦٦- لسان العرب لابن منظور، ٦٥/١١

٦٧- شرح الرضي على الكافية ، ٢٤٨/٢

٦٨- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي ، ٧٤/٢ ط/٢ حيدر أباد ١٣٥٩هـ.

٦٩- معاني النحو ٢٣/٤.